﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: 48]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لا ينالُ المتَّقين أيَّ تعبٍ في الجنَّة مع خلودِهم فيها

لَمّا كانَتِ الدُّنْيا مَحَلَّ تَعَبٍ بما يُقاسَى فيها مِنْ طَلَبِ المَعِيشَةِ، وَمُعاناةِ التَّكاليفِ الضَّروريَّةِ لِلحَياةِ الدُّنْيا والحَياةِ الآخِرَةِ، وَمُعاشَرَةِ الأَضْدادِ، وَعُروضِ الآفاتِ والأَسْقامِ، وَمَحَلَّ انْتِقالٍ مِنْها إلَى دارٍ أُخْرَى مَخوفٌ أَمْرُها عِنْدَ المُؤْمِنِ، لا مَحَلَّ إقامَةٍ؛ أَخْبَرَ تَعالَى بِانْتِفاءِ ذَلِكَ في الجَنَّةِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾[1].

وأيضًا لما كان النَّظر في الدوام والمآل بعد دخولِ المتَّقين في جنّاتٍ وعيونٍ؛ قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[2].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَمَسُّهُمْ﴾: أصلُ (مسَّ): يَدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ[3]، يُقالُ: مَسِسْتُ الشَّيءَ أَمَسُّه مَسًّا لَمَسْتَه بيدِك، وَهوَ مجازٌ في إصابةِ الشَّيءِ وحُلولِه، فَمِنهُ مَسُّ الشَّيْطانِ، أي: حُلولُ ضُرِّ الجِنَّةِ بالعَقْلِ، ومَسُّ سَقَر: ما يُصِيبُ مِنْ نارِها، ومَسَّهُ الفَقْرُ والضُّرُّ: إذا حَلَّ به، وأكثَرُ ما يُطلَقُ في إصابةِ الشَّرِّ، قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا﴾ [الزمر: 8]، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ [يونس: 12][4]، والمَسوسُ من المياه: ما نالته الأيدي[5]، وحاجةٌ ماسَّة، أي: مُهِمَّة، وَقَدْ مَسَّتْ إليه الحاجةُ[6].

والمسُّ في الآية: مُستعملٌ في مُطلَقِ الإصابةِ على وجهِ المجازِ.

---

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/483،
(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/63.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسس).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عباد، المحيط في اللغة، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (مسس)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/316.
(5) الخليل، العين: (مسس).
(6) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (مسس).

2) ﴿نَصَبٌ﴾: أصلُ النَّصَبِ: الإعْياءُ مِنَ العَناءِ، ومَعْناهُ: أنَّ الإنسانَ لا يَزالُ مُنتصِبًا حتَّى يُعْيِيَ[1]. والفِعلُ نَصِبَ الرَّجُلُ، بِالكَسْرِ، نَصَبًا: أعْيا، وتَعِبَ؛ وأنْصَبه هو، وأنْصَبَني هذا الأمْرُ، وهَمٌّ ناصِبٌ مُنْصِبٌ: ذو نَصَبٍ، مِثْلُ تامِرٍ ولابِنٍ، وهو فاعلٌ بمعْنَى مَفْعولٍ؛ لأنَّه يُنْصَبُ فيهِ ويُتْعَبُ، وعَيْشٌ ناصِبٌ: فيهِ كَدٌّ وجَهْدٌ. والنُّصْبُ: الدّاءُ والبَلاءُ والشَّرُّ. وفي التَّنزيلِ العَزيز: ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ [ص: 41]، والنَّصِبُ: المريضُ الوَجِعُ؛ وَقَدْ نَصَبهُ المَرَضُ وأنْصَبه[2]. والمقصود بالنَّصَبِ في الآية: التَّعَبُ النّاشِئُ عن استعمالِ الجُهْدِ.

3) ﴿بِمُخۡرَجِينَ﴾: أصلُ (خرج): النَّفاذُ عن الشَّيْءِ، يُقالُ: خَرَجَ يَخْرُجُ خُروجًا. والخُراجُ بالجَسَدِ. والخَراجُ والخَرْجُ: الإتاوَةُ؛ لأنَّهُ مالٌ يُخْرِجُهُ المُعْطِي[3]، الخُروجُ: اسمٌ من أسماء يوم القيامةِ، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ٤٢﴾ [ق: 42]، أي: يَوْمَ يُبْعَثونَ، فَيَخْرُجون من الأرْض[4]. والخُروجُ أيضًا: البُروزُ والظُّهورُ، ومنه سُمِّي الخوارجُ بذلك؛ لِخُروجِهِم على النّاسِ[5]. والمقصود بالخروج في الآية: ضِدُّ الدُّخول. والمرادُ: باقون في الجنّات بقاءً سرمديًّا دائمًا لا ينقطع[6].

المَعْنى الإجْماليُّ:

بيَّن اللّه تعالى في الآية أنَّ الحياة التي يحياها أهل الجنَّة، حياة أمن، وسلام، وراحة، فلا عمل إلّا ذِكر اللّه تعالى، والتَّسبيح بحمده، والشُّكر لنعمه، ومن تمام هذا النَّعيم أن الَّذي فيه لا يتهدَّده خوفٌ

لا ينالُ المتَّقينَ في الجنَّةِ أيُّ تَعَبٍ أو مَشَقَّةٍ، ومن دَخلَها لا يَخرُجُ منها

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نصب).
(2) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (نصب).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (خرج).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (خرج).
(5) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (خرج).
(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/51.

من أن يفارقه هذا النَّعيم أبدًا، أو يفارق هو هذا النَّعيم، بل هو نعيمٌ دائمٌ مُتَّصل[1].

۞ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

جملة ﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾ بين الاستئناف والحال:

تعـدُّد أحـوالِ أهلِ الجنَّة من نعم الله عليهم

تحتمل جملة ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ أن تكونَ استئنافًا؛ لتفيدَ تعدُّد الإخبار لما له شأنٌ، كما أنَّ في تعدُّد الإخبار تكثيرًا لِلمعنى، وزيادةً في الإيضاحِ والبيانِ، كما تحتمل أن تكون جملةً حاليَّةً[2]، فيكون الكلام من باب ذكرِ حال بعدَ حال، وفي تعدُّد الأحوال تصويرٌ لهيئاتِ المتَّقين في الجنَّة وبيانٌ لأحولِهم؛ ترغيبًا فيها وحثًّا على الاتِّصاف بأوصاف المتَّقين.

بلاغة الكناية في قولِه: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾:

لا يصيب المتَّقين أيُّ نـصـبٍ في الجنَّة وإن كانَ قليلًا

عُبِّرَ بالمسِّ كِنايَةً عَنِ الإصابَةِ؛ ونكتة التَّعبير بالكناية الإشعار بانتفاء إصابتِهم بأقلِّ ما يقعُ عليه النَّصب، فالمسُّ أقلُّ تمَكُّنًا من الْإصابَة، وَهوَ أقل درجاتها؛ لأنَّ المسَّ أقلُّ ما يكون من لصوقِ شيءٍ بالبشرةِ بحيث تتأثَّر به الحاسَّة أو يكون بلصوقٍ من غيرِ إحساسٍ، والمعنى: لا يصيبُهم فيها أيُّ نَصَبٍ ولو كان قليلًا[3].

دلالة الضَّمير في قولِه: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ﴾:

التَّرقي في نعم الله على أهل الجنَّة تكريمٌ وتشريفٌ لهم

يعود الضَّمير على المتَّقين بما اتَّصفوا به من كونِهم يدخلون الجنَّة بسلامٍ وكونِهم آمنين، وقد نزع اللّٰه تعالى الغِلَّ من صدورهم، فهؤلاء المتَّقون الموصوفون بهذه الأوصاف لا يمسُّهم في الجنَّة نصبٌ، فالكلامُ على طريقة التَّرقّي في النِّعَم.

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 7/204.

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/213، والسمين الحلبي، الدر المصون: 7/163.

(3) أبو حيان البحر المحيط: 6/483، والكفوي، الكليات، ص: 799.

الحركةُ في الجنَّة من غيرِ تعبٍ ولا نصبٍ

دلالة مجيء الاسم نكرةً في ﴿نَصَبٌ﴾:

أفاد تنكيرُ الاسم ﴿نَصَبٌ﴾ التَّقليل، بل العدم؛ لأنَّه لمّا جاء الاسم النَّكرة في سياق النَّفي؛ أفاد عمومَ انتفاء مسِّهم بأيِّ نصبٍ، فإذا انتفى أقلُّ النَّصبِ؛ انتفى أكثرُه، وانتفت ديمومتُه، والمعنى: لا يكونُ للمؤمنين في الجنَّة ما يوجبه من الكدِّ في تحصيل ما لا بُدَّ لهم منه؛ لحصول كلِّ ما يريدونه من غير مزاولةِ عملٍ أصلًا، أو بألّا يعتريَهم ذلك، وإن باشروا الحركاتِ العنيفة لكمال قوَّتِهم[1].

انتفاءُ خروجِ المؤمنين من الجنَّة أبدَ الآباد

دلالة التركيب في قولِه: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾:

أفاد التَّركيبُ الاسميُّ المنفيُّ ثبوتَ مضمونِ الجملة ودوامَه، بمعنى انتفاء خروجِهم من الجنَّة أبدَ الآبادِ[2].

من أعظمِ النِّعَم في الجنَّة نعمةُ الخلودِ فيها

دلالة الضَّمير في قولِه: ﴿وَمَا هُم﴾:

بعدَ أن ذكر اللّه تعالى أنَّ المتَّقين الموصوفين بالأوصاف المذكورة لا يمسُّهم فيها نصبٌ؛ ترقَّى في ذكرِ نعمةٍ أعظمَ وأفضلَ، وهي نعمة الخلود، فلا أحدَ يستطيعُ إخراجَهم من الجنَّة.

الاحتراس من احتمال تخصيص العام

فائدة الباء في قولِه: ﴿بِمُخۡرَجِينَ﴾:

أفادت الباء تأكيد نفي إخراجِهم من الجنَّة، وبقاء عموم نفي إخراجهم من الجنة، والمبالغة فيه، وذلك بالاحتراس من احتمال تخصيص العام.

عِظَمُ نعماء الجنَّة وجلالُها

دلالة تقديم قولِه: ﴿مِّنۡهَا﴾:

قُدِّمَ الجار والمجرور - في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ - لإفادة الحصر الإضافي وتأكيدِه، كما يؤذن التَّقديم بعظمِ نعماء الجنَّة وجلالها[3].

---

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/80، والبروسوي، روح البيان: 4/472، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/56.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/80.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4092.

انتفاء أيِّ إخراجٍ لعباد الله المتقين من الجنَّة

دلالة الاسم نكرة في قولِه: ﴿بِمُخۡرَجِينَ﴾:

أفاد مجيء الاسم نكرة في سياق النَّفي - في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ - العمومَ، بمعنى انتفاء أيِّ إخراجٍ لهم من الجنَّة.

إتمامُ نِعَم الله على المؤمنين في الجنَّةِ بالبقاء فيها من غير فناءٍ، والكمالِ بلا نقصانٍ، والفوزِ بلا حرمانٍ

نكتة تذييل الكلامِ عن نعيم الجنَّة:

جاء قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾؛ للإيذانِ بأنَّه تعالى بعدَ أن يدخلَهم الجنَّة، ويذيقهم من نعيمها، إخوانًا على سرر متقابلين من غيرِ أن يمسَّهم فيها نصبٌ، يتمِّم نعمتَه عليهم بالبقاء فيها، وعُبِّرَ بنفي الإخراجِ للإشعارِ بانتفاء الخوفِ من خروجِهم من الجنَّة، فيكون فيه تمام النَّعيم، فإنَّ تمامَ النِّعمةِ الخلودُ[1]، والمراد بنفي خروجِهم من الجنَّة كَوۡنُهُ خُلودًا بِلا زَوالٍ، وَبَقاءً بِلا فَناءٍ، وَكَمالًا بِلا نُقۡصانٍ، وَفَوۡزًا بِلا حِرۡمانٍ[2].

لا أحدَ يستطيعُ إخراجَ المؤمنين من الجنَّة، كما حصلَ مع أبيهم آدمَ

نكتة الإخبارِ بقولِه: ﴿بِمُخۡرَجِينَ﴾:

لم يقل: (وهم فيها خالدون) كما جاء في آياتٍ أخرى، فذكر الوصف بطريق النَّفي، فقال: ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ لتكثير نعمه تعالى عليهم، فإنَّه لما كان المُنكِي في كلِّ شيءٍ إنَّما هو الإكراه؛ بني الاسم للمفعول، فقال: ﴿بِمُخۡرَجِينَ﴾، للإشعار بأنَّه لا أحدَ يستطيعُ إخراجَهم من الجنَّة، كما حصلَ مع أبيهم آدمَ، كما أفادَ الوصفُ المنفيُّ الدلالةَ على أنَّه لا يمكن أن يوصفوا بأنَّهم مخرجون، فهو نفي للإخراج بأبلغ وجه، أي: ليس من شأنهم أنۡ يُخۡرَجوا[3].

الفُروقُ المُعۡجَمِيَّةُ:

النَّصبُ لا يكون إلّا في عملٍ محمودٍ، والتَّعب يكون في عملٍ محمودٍ أو مذمومٍ

النَّصَب والتَّعب:

النَّصب هو التعب الذي يحصل من الإقامة على عملٍ شديد،

---

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 3/213.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 19/148.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/63، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4092.

وقد يكون مصاحبًا للوجعِ، أي: هو التَّعَبُ الذي يصِيبُ المُنْتَصِبَ للأمرِ المُزاوِلَ له، ويقع النَّصبُ على التَّعب القليل والكثير، ومن الكثير ما أخبرَ اللّٰه تعالى عن قول موسى ﷺ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾ [الكهف: 62]، وأمّا التَّعب؛ فقد يكون من عملٍ وجهدٍ، وقد يكونُ نفسيًّا[1]، ويقال النَّصب في الأمر المحمود، فناسب نفيُه عن أهل الجنَّة؛ لأنَّ جهدهم فيها محمودٌ، بمعنى أنَّهم يعملون، ويتحرَّكون، ويُنْجِزون، ولا يمسُّهم في عملِهم فيها نَصَبٌ، وأمّا التَّعب؛ فيكون من عملٍ محمودٍ أو مذموم، وأمّا ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾ [الكهف: 62]، فللإشارة إلى أنَّ السفر كانَ في أمرٍ محمود، وهو أن يتعلَّم موسى ﷺ من العبد الصّالح ممّا علَّمه اللّٰه تعالى.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/475، والزمخشري، الكشاف: 3/614، وابن عطية، المحرر الوجيز: 3/364، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/34، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نصب).